حسنة عظيمة وهي حسنة وجداني وأرض الله واسعة وهي حضيرة جلاله وجماله فإنها لا نهاية لها فليس فيها ليرى ما يرى ولا يظن بما فتح عليه انتهاء السير وانقطاع الفيض إنما يوفى الصابرون على صدق الطلب أجرهم من التجليات بغير حساب إذ لا نهاية لتجلياته تعالى وكل يوم هو في شأن قل إني أخاف إن عصيت ربي بطلب ما سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب القطيعة والحرمان قل الله أعبد مخلصا له ديني فلا أطلب دنيا ولا أخرى كما قيل : وكل له سؤل ودين ومذهب ولي أنتم سؤل وديني هواكم قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم أي الذين تبين خسران أنفسهم بإفساد استعدادها للوصول والوصال وأهليهم من القلوب والأسرار والأرواح بالإعراض عن طلب المولى يوم القيامة الذي تتبين فيه الحقائق وذلك هو الخسران المبين الذي لا خفاء فيه لفوات رأس المال وعدم إمكان التلافي وقال بعض الأجلة : إن للإنسان قوتين يستكمل بأحداهما علما وبالأخرى عملا والآلة الواسطة في القسم الأول هي العلوم المسماة بالمقدمات وترتيبها على الوجه المؤدي إلى النتائج التي هي بمنزلة الربح يشبه تصرف التاجر في رأس المال بالبيع والشراء والآلة في القسم العملي هو القوى البدنية وغيرها من الأسباب الخارجية المعية عليها واستعمال تلك القوى في وجوه أعمال البر التي هي بمنزلة الربح يشبه التجارة فكل من أعطاه الله تعالى العقل والصحة والتمكين ثم أنه لم يستفد منها معرفة الحق ولا عمل الخير فإذا مات فات ربحه وضاع رأس ماله ووقع في عذاب الجهل وألم البعد عن عالمه والقرب مما يضاده أبد الآباد فلا خسران فوق هذا ولا حرمان أبين منه وقد أشار سبحانه إلى هذا بقوله تعالى : لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وهذا على الأول إشارة إلى إحاطة نار الحسرة بهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار قيل الغرف المنية بعضها فوق بعض إشارة إلى العلوم المكتسبة المبنية على النظريات وأنها تكون في المتانة واليقين كالعلوم الغريزية البديهية ألم تر أن الله أنزل من السماء من سماء حضرته سبحانه أو من سماء القلب ماء ماء المعارف والعلوم فسلكه ينابيع مدارك وقوى في الأرض أرض البشرية ثم يخرج به زرعا من الأعمال البدنية والأقوال اللسانية ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إشارة إلى أفعال المرائين وأقوالهم ترى مخضرة وفق الشرع ثم تصفر من آفة الرياء ثم تكون حطاما لا حاصل لها إلا الحسرة أفمن شرح الله صدره للإسلام للإنقياد إليه سبحانه فهو على نور من ربه يستضيء به في طلبه سبحانه ومن علامات هذا النور محو ظلمات الصفات الذميمة النفسانية والتحلية بالأخلاق الكريمة القدسية .

ا نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم إذا قرعت صفات الجلال أبواب قلوبهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر ا بالشوق والطلب ضرب ا مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون يتجاذبونه وهم شغل في الدنيا وشغل العيال وغير ذلك من الأشغال ورجلا سلما لرجل إشارة إلى المؤمن الخالص الذي لم يشغله شيء عن مولاه عز شأنه فمن أظلم ممن كذب على ا يشير إلى حال الكاذبين في دعوى الولاية وكذب بالصدق إذ جاءه يشير إلى حال أقوام نبذوا الشريعة وراء ظهورهم وقالوا : هي قشر والعياذ با ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على ا وجوههم مسوة قيل : هو سواد قلوبهم ينعكس على وجوههم وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا قيل المتقون قد عبدوا ا تعالى